القصيدة الكيكيَّة

سار الزمانُ لأيَّةٍ سارا!   واستبدلَ الأوطارَ أوطارا

ومضَي لعادته وكان فتي   إن رثَّ حبلُ الودِّ بتَّارا

وأشدُّ من تلقي مفارقةً   من لا يقدِّسُ للهَوي دارا

أو آمنَت بالدهر أفئدةٌ   لِهويً، وكانوا قبلُ كفَّارا

فقضَي عليها البينَ مَعتبةً   والعتْبُ من قاضيه مقدارا

زلفي الفناء خُطي نقرِّبها   سَفْرًا وهاجِرةً وحُضَّارا

إيمانُ قومٍ ليس نافعَهم   إن يستفيدوا منه أوزارا!

إني أري الأعمار يَنقصها   رأيُ الغرامِ عليكَ أعمارا

لولا ازدهاءُ المرء ما حَبست   عينُ المنونِ عليه نُظَّارا

أجرَي يمانيةً وأعقَبها   ذاك الزمانُ القُلبُ إعصارا

أمٌّ مخدَّمـــــــــــةٌ تعرَّقَهـــــــــــا نابًا وجَحفـــــــلةً وأظفـــــــارا

ردُّ المظـــــالم لـــــيس في دمــــه رشـــدًا ولـــو شـــفَّعتَ قِنطـــارا

يا هـــل يمانيـــةٌ وهـــل يمَـــنٌ: هـــل يرزقـــان الأنـــسَ سُمَّـــارا؟

نـــدَّ البقـــاءُ، وربمـــا بقِيـــا ذكـــري وأغنيـــةً وأفـــكارا

شـــفَّعتُ قـــوليَ لا الـــوغَي وطَـــرٌ كلا ولا أُهديـــــه أشـــــفارا

مَـــن شـــبَّ نارَ الحـــرب يا يمـــنٌ شَـــبَّت يـــداه لجِـــلده نارا

ابـــنُ الظـــلام ولذةٍ قُضـــيَت يقفـــو الدجَي ســـعيًا وتَعثـــارا

جـــازت لديـــهِ كلُّ غانيـــةٍ ورمي العفـــافَ الطهـــرَ إنـــكارا

آذنتَنـــا؟ آذنـــتَ ســـارقَنا يا ثَمْـــلُ قـــد آذنـــتَ خمَّـــارا!

لكنـــه لم يَـــرضَ مَغنمَهـــا فـــأبي؛ بربِّـــكَ: زِده دينـــارا!

إن العبيـــد لســـادةٍ بُخُـــلٍ يَبـــدون عنـــد الـــنَّيْ.ِ. أحـــرارا

ولـــو انـــه وفَّـــاك كان بهـــا في درعـــه "الكـــيكِيّ" خـــوَّارا

أبلِغ نديمك لستَ عادمَنا … جارًا ولا ألفيتَنا جارا

وإذا شربتَ فدارِه رُبَما … جرَّ العُقارُ عليه أضرارا

ذاك الهريمُ يكدُّه نفَسٌ … بينَ الضلوع الشِّيبِ أسحارا

كيف المصيرُ إذا استقي كؤسًا … أو شمَّ تحتَ الكاس سيجارا ؟

يا آلَ أشأمَ: لا سواسيةً … كنَّا ولا الآحادُ أعشارا

لكن قائمُنا كفاجرةٍ … تركَت جميعَ الناس أبرارا

لو أنزل الأقدار منزلها … عبدٌ لبُؤنا منه أقدارا

يا أيمن الأمصار يا يمنٌ … مُذ مصَّر البانونَ أمصارا

الآن تهدَمُ؟ ما العُلا طُنُبًا … كلا! وما الأمجادُ أحجارا

مَن مبلغٌ "بشَّارَ" مألَكةً … إني أري "الكيكيَّ" "بشارا"

ولِّي "جمالُ" بعاره بطلًا … وجبنتَ عنه فجزتَه عارا

أنضجتَ كيَّتَه بميسَمِه … ورِدٌ قضاه الدهرُ إصدارا

خزيانَ ينظر وسْط حفرته
من سَوأةٍ ألفتك حفَّارا

هل سرَّ "ناصرَ" أن ذمَّته
لم تلقَ إخفاءً وإخفارا ؟

كن من تشاء ورُبَّ قافيةٍ
أجلَي من الإسفار إسفارا

أنت امرؤٌ لا كيده خطَرٌ
كلا وليس يَردُّ أخطارا

وجناءُ سعيكَ لا تبلِّغُه
سؤلًا ولا تقضيك أعذارا

يَنفي قذاكَ الدهرُ يا يمنٌ
يومًا ولو أقذاكَ أدهارا

ما ضاعَ مجدٌ لا نضيّعُه
هادٍ هداكَ! وحائرٌ حارا!

لما رأيتُ زنيمنا مَلِكًا
فينا شكرتُ اللهَ إجهارا

حجَّت خلائقُ دونَ أرجُلها
دهرًا فأعطاهن أبصارا

قومٌ إذا ما السيرُ أسعدهم
وفَّى لهم "مِترًا" وأشبارا

هل مثلُ قومي أمةٌ بلغت
بيت الحجيج الجردِ عُمَّارا

رحلَت هوادجُ في الدجَي عسَفًا
أمنًا وكان الليلُ غدَّارا

لم تُهـــدَ سُــــنتها ولا هُــــديَت ... مـــن ظلمـــة البيـــداء أنصـــارا

مِـــن صـــوب ســـاريةٍ أنبئهـــا ... مَـــن حمَّـــلَ الأنـــداءَ أخبـــارا ؟

مـــا للصَّـــبا تختـــالُ قافيـــةً ... مـــا للـــرُبي تنشـــقُّ أشـــعارا ؟

ليـــتَ المقـــيمَ مـــكان مـــن ظعنـــوا ... عنـــا وليـــت الشـــعبَ مـــا ثارا

ســـالت يـــداه العـــدلَ فانتزِعَـــت ... منـــه وســـال الصـــبرُ مـــدرارا

فمـــن الملـــــومُ إذا تنازعَـــــه ... ثـــأرٌ، وكان الدهـــــرُ دوَّارا

يـــومٌ يجـــيء ودونـــه نُـــذُرٌ ... يا نـــومُ لـــو ترعـــون إنـــذارا

تلقَـــي الجنـــودُ هنـــاك أيـــديَنا ... تُعطِـــي، ولا تعطـــين أزهـــارا!

لمـــــن الديارُ إذا تقاسمهـــــا ... طـــيرٌ ذبـــيحُ وطـــائرٌ طـــارا

لا هَنْـــأ لي فيهـــا ولا لكمـــو ... يـــومَ النفـــير، ولســـتُ نفَّـــارا!

إني عـــلي جَـــوري بقـــافيتي ... عـــدلٌ إذا مـــا جـــارُه جـــارا

وإذا التمســـتُ هُـــدايَ أحـــرزَني ... حِـــلمٌ ســـلاه الجهـــلُ إكبـــارا

لـــو كنـــتُ أعـــلمُ أن آخرَهـــا ... غُـــنمٌ لـــزدتُ البغـــيَ "عَمَّـــارا"

سُـــــوقٌ مســــــعَّرةٌ فســــــلعتها ... والبيِّعــــانِ يَعــــدن خُسَّــــارا

ولقـــد أري أنْ لســـتُ مُوقـــدَها ... لكنـــــني لـــــن أطفـــئَ النـــارا

إني عــــلي ذكـــراكَ يا يمـــــنٌ ... أَصـــلّيَ مـــن النســـيان أذكارا

إن بلَّـــــت صـــــنعاءَ أدمعُهـــــا ... فلقد جرت في مصرَ أنهارا

أعـــددتُ للشـــعراء مـــن دمنـــا ... نظمًـــا يفـــوحُ المجـــدَ معطـــارا

أزكمـــــتُ قاتلنـــــا عـــــلي ودَعٍ ... ولعـــــلةٍ مـــــا شـــــاد أســـــوارا

وإذا فـــــررتُ فـــــإنني جمِـــــحٌ ... آليـــــتُ لا أنفـــــكُّ عَـــــكَّارا

وإذا انصــــبتُ فغاســــقٌ عــــرِمٌ ... كالليــــــل لــــــيس يعــــافُ ديَّارا

أعيتـــــك قافيـــــةٌ مشـــــذَّبةٌ ... فاكسر يراعَك واشرِ مزمارا

حُلَـــلٌ وقـــد خُـــبِّرتُ سُندُسَـــها ... فـــاخترتُ، والإنســـانُ مـــا اختـــارا

ذُمَّ المنـــــازل بعـــــد أيمنهـــــا ... واهجُ السرَي، لا رُحتَ سيَّارا

سـَــــار الزمـــانُ ولســــتُ ســـائله فــــــيمَ المســــــيرُ، وكان زوَّارا

ونـــأَي، وخـــاصمَ، ثم واعَـــدَنا مكـــــــرًا؛ وكان اللهُ غفَّـــــــارا

* * *

* *

*